الأدب الجاهلي

أو

أدب ما قبل الإسلام

Scanned By Camera Scanner

المحاضرة الأولى

المرحلة الأولى/ اللغة العربية

معنى الأدب لغةً واصطلاحاً :

الأدب لغة :

إنَّ لفظ أو كلمة (أدب) مرَّ في تطوره ببضع دلالات قبل أن يأخذ معناه الاصطلاحي الذي ثبت عليه اليوم ، أي أنَّ كلمة (أدب) من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الامة العربية وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدنية والحضارة.

وإذا رجعنا إلى أدب عصر قبل الإسلام (العصر الجاهلي) لم نجدها تجري على ألسنة الشعراء ، إنما نجد لفظة (آدب) بمعنى : الداعي إلى الطعام ، يقول طرفة بن العبد :

نحنُ في المشتاةِ ندعو الجفلى

لا ترى الآدب فينا ينتقر

ومن ذلك المأدُبة بمعنى : الطعام الذي يُدعى إليه الناس. واشتقوا من هذا المعنى : أدُب يأدُب:بمعنى صنع مأدُبة أو دعا إليها.

Scanned By Camera Scanner

يتضح لنا مما سبق إنّ (أَصلُ الأَدب الدُّعاءُ).ومع مرور الزمن انتقلت دلالة اللفظة من معناها الحسي إلى معنى آخر مجرد (معنوي)،جاء في لسان العرب ((الأَدبُ):الذي يتأَدَّبُ به الأَديبُ من الناس ، سُمِّي أَدباً لأَنّه يأْدِبُ الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح)) وهكذا انطوت اللفظة على دلالة خلقية هي (التعليم والتهذيب والتثقيف) وبهذا المعنى وردت اللفظة في حديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) (أَدّبني ربّي فأحسن تأديبي).وبهذا انتقلت الكلمة من معنى حسي وهو الدعوة الى الطعام إلى معنى ذهني وهو الدعوة إلى المحامد والمكارم ، شأنها في ذلك شأن بقية الكلمات المعنوية التي تستخدم أولاً في معنى حسي حقيقي، ثم تخرج منه إلى معنى ذهني مجازي.

وفي عصر بني أمية نجد الكلمة تدور في المعنى الخلقي التهذيبي ، وتضيف إليه معنى ثانياً جديداً ، وهو معنى تعليمي ، فقد وجدت طائفة من المعلمين تسمى بالمؤدِّبين ، كانوا يعلمون أولاد الخلفاء ما تطمح إليه نفوس آبائهم فيهم من معرفة الثقافة العربية ، فكانوا يلقنونهم الشعر والخطب وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام . وأتاح هذا الاستخدام الجديد لكلمة الأدب أن تصبح مقابلة لكلمة العلم الذي كان يُطلق حينئذ على الشريعة الإسلامية وما يتصل بها من دراسة الفقه والحديث النبوي وتفسير القران الكريم.

وإذا انتقلنا إلى العصر العباسي وجدنا المعنيين التهذيبي والتعليمي يتقابلان في استخدام الكلمة، فقد سمى ابن المقفع رسالتين له تتضمنان

Scanned By Camera Scanner

ضروباً من الحكم والنصائح الخلقية والسياسية باسم (الأدب الصغير) و (الأدب الكبير) . وبنفس هذا المعنى سمى أبو تمام المتوفى سنة (٢٣٢هـ / ٨٤٦ م) الباب الثالث من ديوان الحماسة الذي جمع فيه مختارات من طرائف الشعر ، باسم باب الأدب . وينطبق هذا المعنى على كتاب الأدب الذي عقده البخاري في مؤلفه المشهور في الحديث والمعروف باسم الجامع الصحيح ، كما ينطبق على كتاب الأدب الذي صنفه ابن المعتز .

وفي هذه الأزمنة أي في القرنين الثاني والثالث للهجرة وما تلاهما من قرون كانت الكلمة تطلق على معرفة أشعار العرب وأخبارهم . واخذوا يؤلفون بهذا المعنى كتباً سموها كتب أدب مثل:(البيان والتبيين للجاحظ) المتوفى سنة ٢٥٥ هـ وهو يجمع ألواناً من الأخبار والأشعار والخطب والنوادر ، مع ملاحظات نقدية وبلاغية كثيرة . ومثله كتاب (الكامل في اللغة والأدب للمبرد) المتوفى سنة ٢٨٥ هـ وقد وجّه اهتمامه إلى اللغة لا الى البلاغة والنقد كما صنع الجاحظ وقدّم فيه صوراً من الرسائل النثرية التي ارتقت صناعتها في تلك العصور ، جاء في مقدمته :(هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة). ومما ألّف في الأدب بهذا المعنى كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ هـ وغيرها .

Scanned By Camera Scanner

ولم تقف الكلمة عند هذا المعنى التعليمي الخاص بصناعتي النظم والنثر وما يتصل بهما من الملح والنوادر فقد اتسعت أحياناً لتشمل كل المعارف غير الدينية التي ترقى بالإنسان من جانبيه الاجتماعي والثقافي ، وبهذا المعنى الواسع نجدها عند إخوان الصفا في القرن الرابع للهجرة ، فقد دلوا بها في رسائلهم الى جانب علوم اللغة والبيان والتاريخ والأخبار على علوم السحر والكيمياء والحساب والمعاملات والتجارات .

ولا نصل إلى ابن خلدون المتوفى سنه ٨٠٨ هـ حتى نجدها تطلق على جميع المعارف الدينية وغير الدينية ، فهي تشمل جميع ألوان المعرفة وخاصة علوم البلاغة واللغة ، ومن ثم قال:(الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف) .

ومنذ القرن الثالث للهجرة نجد الكلمة تدل-فيما تدل عليه-على السنن التي ينبغي ان تراعى عند طبقة خاصة من الناس ، وأُلِّفت بهذا المعنى كتب كثيرة مثل: أدب الكاتب لابن قتيبة وأدب النديم لكشاجم .... وتوالت كتب مختلفة في أدب القاضي وأدب الوزير وأخرى في أدب الحديث وأدب الطعام وأدب المعاشرة وأدب السفر .... الخ .. على أن أكثر ما كانت تدل عليه مقطعات الأشعار وطرائف الأخبار...

Scanned By Camera Scanner

الأدب في الاصطلاح :

عرفنا من الكلام السابق أنّ لفظ (الأدب) مرّ في تطوره ببضع دلالات إلى أن وصل إلى معناه الاصطلاحي الذي ثبت عليه ، فالأدب في الاصطلاح : هو الكلام الإنشائي البليغ الذي يُقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين ، سواء أكان شعراً أم نثراً، أو هو الكلام الجميل المؤلف بطريقة فنية تؤثر في عواطف القارئ والسامع على نحو ما هو معروف في صناعتي الشعر وفنون النثر الأدبية مثل الخطابة والأمثال والقصص والمسرحيات والمقامات .

Scanned By Camera Scanner